﴿ احذر الحسرات ﴾

(1)

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

على الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال والمُرتحل هو عنها عاجلًا أو آجلًا وهذا الأمر يقينًا لا شك فيه أن يتأمل و يتفكر في حال الخلائق وما سوف يقاسوه من دواهي القيامة.

فيوم القيامة يومٌ شديد طويل وقد جاء ذكر ذلك في كتاب الله وسنة النبي ﷺ

قال سبحانه: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)}[المعارج]

لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحًا ،لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة . أي : ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه عورة بادية ، ولا عينا باكية من يوم القيامة (البداية والنهاية لابن كثير).

المعنى: لو أن القلوب حية ولم تُميتها الذنوب والمعاصي ولو أن بها صلاح فسيقول للحاضرين كلمات تجعلهم يبكون عند سماعها بكاء شديد من يوم صبيحته يوم القيامة، فالإنسان بمجرد أن يموت ويُقبر فلن يقوم من قبره إلا يوم القيامة يوم البعث وهو يومٌ شديد، فما من أحد سيموت إلا وسيجد في نفسه حسرة وندامة.

- فالمسيء سيندم: ليتني ما أسأت ولا أذنبت ولا فعلت، ليتني أصلحت.

- والمحسن سيندم: ليتني أحسنت أكثر فكنت في الدرجة الأعلى، الكل سيندم في هذا اليوم فهو يوم الحسرة والندامة.

قال تبارك وتعالى: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39)}[المدثر]

فكل نفس محبوسة بعملها إلا أصحاب اليمين وهم الذين منَّ الله عليهم ونجوا بأعمالهم الصالحة وفازوا بالجنة أما مَن كانوا دون ذلك فهم في ندم _قال بعض أهل العلم : الكل يندم حتى لو كان من أصحاب اليمين لأنه لم يكن من المقربين، وكذا المقربين سيندمون لأنهم لم يكونوا مع الشهداء والصالحين وأصحاب الدرجات العلى، والشهداء سيندمون لأنهم لم يكونوا من الصديقين، إذن الكل سيندم في هذا اليوم الشديد الطويل.

ولكن لماذا سينال الندم الجميع؟ لأن كل إنسان سيشعُر في هذا اليوم أن الذي منعه من الوصول إلى الدرجات العلى ومن دخول الجنة ابتداءً هو هذه الدنيا، فما منعه من الوصول إلى بُغيته وما كان يؤمله إلا التعلق بهذه الدنيا ولذلك يكون هذا هو يوم الحسرة.

قال تبارك وتعالى:{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39)}[مريم].

وللقيامة أسماء كثيرة منها **يوم الحسرة** وسماها الله تعالى بهذا الاسم لكثرة الحسرات فيه.

الحسرة أشد الندم والغم يركب الإنسان حتى يكون حسيراً منقطعاً لا يستطيع فعل شيء لتدارك ما فاته.

ﷺ جاء في لسان العرب "الحسرة أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه".

الحسرة على ما قال الراغب: الغمّ على ما فات والندم عليه كأن المتحسر انحسر عنه قواه من فرط ذلك أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه.

فهذا الإنسان الذي فقد حسناته ولم يجد لنفسه شيء منها ليدخل به الجنة سيكون في حسرته مثل البعير أو الدَّابة التي فقدت قوتها فأصبحت معدومة القيمة فلا حركة لها ولا نفع

يقول ابن الجوزي: كَمْ حَسْرَةٍ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ، وَكَمْ سَكْرَةٍ مِنْ أَجْلِ سَكْرَةٍ، يَوْمًا قَدْ جُعِلَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَدْرُهُ، كُلُّ سَاعَةٍ فِيهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، نَبْنِي فِيهِ مَا نَقَضْنَاهُ ونشيده {كما بدأنا أول خلق نعيده} (التبصرة لابن الجوزي)

فكم من حسرة في يوم الحسرة هذا؟ حسرات وحسرات.

وكم سكرة من أجل سكرة؟ أي كم من سكرات(أولها سكرات الموت_ القبر_البعث_النشور) سيُعاني منها الإنسان من أجل نشوة وسعادة ولذة زائلة فتفنى اللذة وتبقى المرارة والعذاب).

وهذا اليوم مقداره خمسين ألف سنة كما جاء في كتاب الله عز وجل والسنة، وكل ساعة فيه أشد من ساعة العسرة.

وساعة العسرة هذه هي: حين خرج النبي ﷺ بالجيش من المدينة.

غزوة العُسْرة، وذلك لوقوعها في زمان عُسْرَةٍ من الناس، وشدةٍ في الحر، وبُعْدٍ في المكان، وقلةٍ في المال والدواب، حتى أن الرجلان كانا يتقاسما التمرة الواحدة من قلة الطعام والزاد.

وكل ساعة من ساعات يوم القيامة هي أشد من ساعة العسرة تلك والتي اعتصر فيها المسلمون (الحرارة شديدة_الزاد قليل_والتعب شديد) فكل هذا هو من حسرات يوم القيامة.

يقول ابن الجوزي: وا أسفاه من حياة على غرور وموت على غفلة ومنقلب إلى حسرة ووقوف يوم الحساب بلا حجة.

يتحسَّر ابن الجوزي على حال العباد ويقول يا حسرة على حياة على غرور.

قال سبحانه وتعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)}[الحديد]

فالدنيا تَغُرْ العباد ومتاعهم فيها قليل جدًا والسعادة فيها لا تُعَد لأنها قليلة ، والغالب على أحوال الناس هو التعب والشقاء والهم والغم وبالرغم من ذلك نجدهم متمسكين بها، فقال: يا حسرة على حياة على غرور: فما هذه الحياة التي يتقاتل عليها الناس ويُضيعون من أنفسهم يوم عظيم كهذا من أجلها، وهذا الثواب الكبير وجنات عرضها السماوات والأرض، والموت يأتي بغتة وفي غفلة فلا أحد يعلم متى ستأتي ساعة رحيله، فقد يظل المريض سنوات وسنوات يُعاني من المرض في حين أن المعافى هو الذي يُسارع إليه الموت.

ومنقلب إلى حسرة: فمَن يموت يقينًا سوف يجد الحسرة لأن الكل مُقصِّر في حق الله سبحانه وتعالى وسيكون الوقوف بين يدي الله من غير حجة فقد أتانا العلم والخير وسمعنا وعلمنا وكل شيء واضح جلي ولا توجد لنا حجة على التقصير فضلًا عن التفريط.

الفيض بن الفضل العجلى قال: حدثني جار لمسعر قال بكى مسعر فبكت أمه فقال لها مسعر ما أبكاك يا أماه فقالت يا بني رأيتك تبكي فبكيت فقال يا أماه لمثل ما نهجم عليه غدا فلنطل البكاء قالت وما ذاك فانتحب فقال القيامة وما فيها قال ثم غلبه البكاء فقام.

هو: مسعر بن كدام - بكسر أوله وتخفيف ثانيه، ابن ظهير الهلالي، أبو سلمة، الكوفي، ثقة ثبت (صفة الصفوة).

هذا هو حال أحد السلف الصالح فقد مكث يبكي بكاءً شديدًا وهو من الصالحين العاملين المتقين وبالرغم من ذلك ظل يبكي فبكت أمه على حاله من شدة بكائه ومن غير أن تعرف سبب بكائه، فسألها عن سبب بكائها فأجابتها أنها تبكي لبكائه ثم سألته وسبب بكائك أنت فقال: على يوم طويل لم نعمل له وهو منتظر الجميع.

هذا هو كلام أناس صالحين عاملين متقين فكيف بأحوال الأمة الآن!

يقول الشافعي:

يا نفس ما هي إلا صبر أيام ... كأن مدتها أضغاث أحلام

يا نفس جودي عن الدنيا ولذتها ... وخل عنها فإن العيش قدامي

ينصح الشافعي رحمه الله الناس فيقول لهم الصبر أيام وهي مدة قليلة جدًا فاتركوا الدنيا فليس فيها عيش ولا حياة بل أن كلها شقاء ونكد وهموم أما العيش فهو في الدار الآخرة.

الشاهد من الكلام السابق: أن هناك حسرات ولابد أن يعلم الإنسان أن هذه الحسرات كثيرة جدًا وعليه أن يُحاول أن ينجو منها في الدنيا لأن الله عز وجل بكرمه وجوده وفضله لا يجمع على العبد حسرتين.

أي: الإنسان الذي تحسَّر على حاله وبكى وحزن على ما مضى من عمره ويسعى فيما هو آتٍ فإن الله بكرمه وفضله وإحسانه ورحمته سوف يرحمه يوم القيامة إن شاء.

الحسرات التي يلقاها الإنسان:

1-الحسرة عند مفارقة الروح للجسد:

وتلك هي أول الحسرات: عندما يأتي على الإنسان لحظات الاحتضار ويرى ملك الموت قادمٌ إليه ومعه أعوانه لقبض روحه.

- ولكن لماذا تُعد هذه حسرة؟

قال بعض أهل العلم: يَا شدَّة الوجل عِنْد حُضُور الْأَجَل يَا حسرة الْفَوْت عِنْد حُضُور الْمَوْت يَا خجلة العاصين يَا أَسف الْمُقَصِّرِينَ.

تلك حسرة شديدة حين يترك العبد دنياه وتُغلق صحيفته ويتوقف عمله عن الزيادة ولا حول له ولا قوة له بعد ذلك، سيذهب إلى ربه سبحانه وتعالى وهو مُجرَّد من كل شيء فلا أسماء ولا ألقاب ولا مناصب وأصبح الذي يُطلق عليه مسمى(الجثة) فيقولون: أين الجثة، احملوا الجثة، صلوا على الميت وهكذا فلم يعد الأمير ولا الوزير فالكل عند الموت يستوون.

فقالوا: يا شدة الوجل عند حضور الأجل: خوفٌ شديد ورهبة، فماذا سنقول لله عند الوقوف بين يديه.

قال تبارك وتعالى: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)}[المؤمنون]

فالإنسان عندما يأتيه الموت ويرى أنه مفارق لهذه الدنيا فإنه يقول يا رب أرجعني إلى الدنيا وأمهلني وسوف أعمل صالحًا ولن أعصيك ثانيةً _فيكون الرد هو: كلا إنها كلمة هو قائلها.

فلماذا قيل أنها كلمة هو قائلها؟ لأن الدنيا كانت أمامه فلماذا لم يعمل إن كانت لديه نية للعمل الصالح، أما وأنه قد جاءه الموت وعاين ملائكته قال ذلك فهذا لن يكون لأن الله

سبحانه قال: كلمة هو قائلها أي مجرد كلمة ولو عاد لفعل مثلما فعل من قبل، فقد سبق أن جاءته الحجة والبرهان والآيات وكل ما من شأنه أن يجعل المرء يسير على الصراط المستقيم ومع كل هذا يُعاند ويُشاقق ويُصِر على ارتكاب الكثير من الذنوب والمعاصي فالكثير من العباد يُصرون على ما يفعلونه من الذنوب.

أما التقصير فيمكننا أن نُحدِّث فيه ولا حرج وخاصة في هذه الأزمنة التي نعيش فيها والتي تلاشى فيها الدين.

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ: وهذا هو المكان الذي يمكث الإنسان فيه منذ لحظة موته إلى أن تقوم الساعة وتلك هي الحياة البرزخية أي ما بين ترك الدنيا إلى يوم البعث والنشور، وهذه الحياة إما أن تكون سعادة ونعيم ومقعد في الجنة يراه العبد، وإما أن يكون في عذاب وشقاء.

يقول أهل التفسير في الآية: إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة على ما فرّط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه، فسأل ربه الرجعة.

فماذا كان يفعل الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم العلماء ألم يكونوا يدعون الناس إلى أن يعبدوا ربهم ويُحسنوا أعمالهم وكانوا يذكرونهم بربهم في كل وقت، فهل كان العاصي ينتظر لحظة الموت حتى يُوقن بحقيقته ثم يقول رب ارجعون، هذه كلمات لن تُفيد صاحبها إذا ما قيلت في هذه اللحظات.

وقال قتادة: في قوله تعالى : حتى إذا جاء أحدهم الموت : قال : كان العلاء بن زياد يقول : لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت ، فاستقال ربه فأقاله ، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

- فمن ضمن الأسباب التي يمكن أن تقي العبد هذه الحسرات أن يضع نفسه مكان مَن نزل به الموت فقال رب أجِّل ساعتي كي أعمل فاستجاب له ربه وأمهله فلو أن ذلك حدث ومنحه ربه مدة جديدة ليظل حيًا فما الذي سيفعله في تلك المدة، المفروض أو الواجب أن يعمل بالطاعة ليل نهار.

أليس هذا هو حال العباد فمَن منَّا يعلم متى ستحين ساعته؟ متى سينتهي أجله؟

وقال قتادة : والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ، ولا قوة إلا بالله.

- المعنى :أنه لا يُريد العودة من أجل الأهل أو العشيرة ولكنه يريد أن يرجع ليعمل بطاعة الله، وليُدرك التقصير والتفريط، وليزيد في ميزان حسناته فقد أدرك وأيقن أن ما كان فيه من لهو وغفلة وترك العمل للآخرة أضرَّه ضررًا بالغًا.

قال سبحانه وتعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10)}[المنافقون]

وأنفقوا مما رزقناكم : توجيه إلهي جميل حيث يأمر الناس بالإنفاق والتصدق على الفقراء من قبل أن يأتي يوم لن يستطيع أحد أن يعود فيُنفق ويقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق، وتلك أيضًا من الحسرات التي يشعر بها المرء حين تأتيه ساعة رحيله، وقد كان في حياته بخيلًا أو ممتنع عن إخراج الزكاة أو الصدقات أو الإنفاق بصورة عامة فإذا ما أتته الساعة قال رب لولا أخرتني وسوف أُخرج كل هذه الأموال التي كنت اكتنزها، لقد وصلت درجة البخل عند بعض الناس أنهم يرفضون أداء فريضة الحج أو أداء العمرة رغم امتلاكهم للمال.

يقول أحد السلف: أنَّ كل مَن قصَّر في الاجتهاد، وتعمير الأوقات، كله يطلب الرجعة، وكل مَن أدركته المنية قبل الوصول إلى الله مغبون.

فكل إنسان قصَّر في الاجتهاد ولم يعمل الأعمال الصالحة سيُعاني من الحسرات عند معاينة ملك الموت.

2-الحسرة التالية : هي حسرة العبد لحظة دخوله القبر.

فأعظم ألم وأشد عذاب يلقاه العبد عند دخول القبر وانقطاع الأسباب فتلك حسرة شديدة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً» أخرجه البخاري(6569)

ليزداد شكرا: اعترافا بفضل الله تعالى وفرحا ورضا بما أولاه من نعمة، حسرة: زيادة في تعذيبه.

يقول النبي ﷺ : لا أحد يدخل الجنة ممن سيدخلونه إلا وسيُريه ربه مقعده من النار لماذا؟ كي يزداد شكرًا لله وليعلم أنه كان في الدنيا طائعًا ولو أنه كان عاصيًا لكان هذا مكانه، وكذا لن يدخل النار أحد ممن سيدخلونها إلا ويرى مقعده في الجنة كي يتحسر على ما فاته، وهذا يحدث في القبر ويوم القيامة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ [ص:99] لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ " أخرجه البخاري (1374)واللفظ له، أخرجه مسلم(2870)

وهنا تكون حسرات متتالية فحسرة على فوت الدنيا وحسرة على ضياع الجنة منه وحسرة عند دخوله القبر لأن العذاب يبدأ من أول لحظة يدخل فيها المرء قبره ثم يُغلق عليه فيُسأل عن ربه ودينه ونبيه.

يقول إبراهيم بن أدهم : إِنَّ لِلْمَوْتِ كَأْسًا لَا يَقْوَى عَلَى تَجَرُّعِهِ إِلَّا خَائِفٌ وَجِلٌ طَائِعٌ كَانَ يَتَوَقَّعُهُ فَمَنْ كَانَ مُطِيعًا فَلَهُ الْحَيَاةُ وَالْكَرَامَةُ وَالنَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا نَزَلَ بَيْنَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ الصَّاخَّةِ وَالطَّامَّةِ .

إبراهيم هو: من أئمة السلف الصالحين ويقول هذا الكلام فيحمل في طياته موعظة، فالموت كأس لا يقوى على تجرعه إلا الخائف الوجل الطائع.

فلن يستطيع أحد أن يتحمل سكرات الموت ولا رؤية الملائكة وملك الموت وأعوانه ولا دخول القبر وإغلاقه عليه إلا إذا كان في الدنيا لديه خوف ووجل وصاحب طاعات وورع حتى يُصبح على درجة عالية من الإيمان فإذا ما أتته سكرات الموت وعاين ملك الموت وأعوانه ودخل قبره ورأى مكانه في جنة أو نار وكل تلك الأهوال قوي على تحملها.

إذن لابد أن يكون القلب طائع محسن متعلق كليًا بالله سبحانه وتعالى

أما العاصي المنشغل بالدنيا المستمتع بها الغافل عن الآخرة وكأنه سيعيش أبد الآباد فقد نسي أن العمر قصير ومكثه في الدنيا قليل فستكون هذه الأمور حسرات عليه منذ اللحظة التي تحضره سكرات الموت فيرى ملك الموت وأعوانه وهم يقبضون روحه ويستتبع ذلك حسرات وحسرات لا تنتهي.

3-الحسرة التالية: الحسرة على التفريط في الطاعات:

قال تعالى: { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58)}[الزمر]

لقد كان البعض يسخر ويستهزئ ولا يهتم بالدين وإذا أراد أحد أن ينصحه فإنه يرد بالسخرية من الملتزمين والتهكم عليهم واتهامهم بالسفه والتشدد

_فإذا قيل له قال الله قال رسوله r فإنه يُواصل نفس الكلمات وقد وصلت درجة محاربة الدين إلى أعلى مستوى، فكل هؤلاء ستكون حسرتهم يوم القيامة شديدة.

- يقول سبحانه: { يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} : لقد فرَّط في الطاعة وأوامر الله وسخر من المسلمين وتهكَّم عليهم وهمز ولمز وصد عن سبيل الله، فكم من أبٍ نراه يمنع أبنائه من الذهاب إلى المساجد، وكم من أم تمنع ابنتها من ارتداء الحجاب أو الذهاب لمجالس العلم، وكم من زوج يمنع زوجته من سماع دروس العلم وقد يصل الأمر إلى التهديد بالطلاق إذا هي فعلت ذلك، كل هؤلاء سيتحسرون يوم القيامة على ما فرطوا في جنب الله، فقد كان أولى بهؤلاء أن يسعون من أجل إصلاح حال الأبناء أو البنات أو الزوجات ولكنهم فعلوا العكس فلا هم أصلحوا أحوال أنفسهم ولا هم تركوا رعيتهم يصلحون أنفسهم.

- يقول سبحانه: { تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}: أي يا رب لو أنت كتبت لي الهداية لكنت من المتقين الطائعين

- يقول: { تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}: فحين يرى العذاب يندم على حياة مرت من غير طاعة.

ولكن ما هي مشكلة الحسرات؟

سبب هذه المشكلة هو ضعف اليقين في قلوب المسلمين.

ولو أننا نظرنا في جميع الآيات التي ذُكرت من أول الحلقة لوجدناها

{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}، { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} ،{أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}

أصحاب الحسرات لا ينتبهون إلا عند مُعاينة الموت والعذاب إذن السبب الأصلي في ضلالهم في الدنيا هو ضعف اليقين، فقد كان تخلفهم عن العمل والطاعة في الدنيا وموتهم على غير توبة وغير هداية السبب فيه يرجع إلى ضعف اليقين وعدم التصديق بوجود الجنة والنار أو عذاب القبر وكذا كل الإيمانيات التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة ولذلك لم يعملوا فلما ماتوا وأصبح الأمر بالنسبة لهم هو عين يقين قال الواحد منهم رب ارجعون.

الدين كله مبني على الإيمان بالغيب وليس على المشاهدة، فنحن لم نرى الله ولا النبي r ولكننا آمنَّا بالله والنبي ﷺ وصدَّقنا بكل ما جاء في القرآن والسنة، إذن أصل دين الإسلام مبنيٌ على الغيب والتصديق بالغيب لا بالمعاينة، وبالتالي فلن تكون هناك فائدة لحظة أن يُعاين الإنسان الأمر.

هؤلاء القوم عندما يرون العذاب يتحسرون ويندمون من شدة الحسرة

_قال سبحانه : { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24)}[الفجر]

تلك هي جملة من الحسرات الوارد ذكرها في القرآن،

وهذا فريق آخر من الناس يقول عنهم : {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}: فيتذكر ساعة الموت ولحظة دخول القبر ويوم القيامة ولكن أنَّى له الذِكرى في لحظة كهذه لن تنفعه تذكرة ولهذا يقول: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، فيندم حين لا ينفع الندم، لقد جاءته الآيات وقام العلماء بكل الوسائل الممكنة والمتاحة لهم من أجل هداية الناس(هداية الإرشاد) إلا أن الكثيرين لا يستجيبون فهم في غفلة معرضون والقلة القليلة فقط هي التي تستجيب لأوامر الله،

- يقول سبحانه: {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} : وكيف ينفع الندم في لحظة انقضت فيها الحياة، يندم على ما قام به من معاصي ويندم على عدم قيامه بالطاعات.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ، إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللهِ، لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ " مسند أحمد(17650)

يقول: فلو أن شخصًا منذ لحظة ولادته وضع وجهه في التراب أي ساجدًا لله إلى أن يتقدم به العمر ويهرم، فكانت حياته كلها سجود للرب سبحانه وبالرغم من ذلك فإنه يوم القيامة يتمنى لو أنه استطاع أن يُحقق المزيد من الأجر والثواب وهنا يندم أيضًا،

_الأمر عظيم ولكن وكما قال ربنا سبحانه: { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1)}[الأنبياء]

إعراض وغفلة شديدة جدًا ملئت القلوب وسيطرت على العقول ومنعت المسلمين من العمل لله عز وجل ولهذا اليوم.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ أُعَالِجُ أَغْلاَلَهَا وسَعِيرَهَا آكُلُ مِنْ زَقُّومِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا فَقُلْتُ : يَا نَفْسُ إِيشْ تَشْتَهِينَ ؟ قَالَتْ : أَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ عَمَلا أَنْجُو بِهِ مِنْ هَذَا الْعِقَابِ ، وَمَثَّلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ مَعَ حُورِهَا وأَلْبَسُ مِنْ سُنْدُسِهَا وإِسْتَبْرَقِهَا وَحَرِيرِهَا قُلْتُ : يَا نَفْسُ إِيشْ تَشْتَهِينَ ؟ قَالَ : فَقَالَتْ : أَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ عَمَلا أَزْدَادُ فِيهِ مِنْ هَذَا الثَّوَابِ ، قُلْتُ : فَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الأُمْنِيَةِ ". الزهد لأحمد بن حنبل(2106).

يقول : أنه تخيل نفسه وقد انقضت الدنيا فكان من الذين دخلوا النار فرأى الأغلال والسعير وأكل الزقوم وشرب الزمهرير ففي أثناء ذلك سأل نفسه ماذا تريدين الآن فقالت : أريد أن أرجع فأعمل أعمالًا صالحة تكون سببًا في نجاتي من النار، وتخيل أيضًا انتهاء الدنيا وقد دخل الجنة ورأى ما فيها من نعيم مقيم
(الحور_الحرير_السندس_الإستبرق) فسأل نفسه هنا أيضًا فيما ترغبين فقالت: الرجوع للدنيا كي يعمل أكثر فيزداد رفعة وعلوًا ولهذا فإن العبد أيًا كان حاله يكون في ندم وإن كان أهل النار هم أشد ندمًا.

ـ يقول البعض يكفينا أن ندخل الجنة:

ـ بالفعل مجرد دخول الجنة فوز وخير ولكن حتى مَن يدخلون يندمون لماذا؟

لأنهم سيتحسرون عندما يرون الدرجات العلى التي لم يصلوا إليها وكذا المنازل العالية الرفيعة والنعيم المقيم والذي سيكون أضعاف مضاعفة فكلٌ على حسب درجته فيها.

- روي أنه لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة (إمام من أئمة السلف التابعين الفقهاء والذي اشتهر بالعلم والفقه والزهد والورع) بكى بكاءً شديدًا

فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية و قلة عملي للجنة العالية و ما ينجيني من النار الحامية.

انظروا مَن الذي يتفوه بهذه الكلمات ؟ ابن سيرين، وهو علم من أعلام الأمة وإمام من أئمة التابعين العظام الكبار في الفقه والورع وهو من المُتقدمين جدًا لدرجة أنه سمع بعض الأحاديث من أصحاب النبي ﷺ ، ومع هذا يقول: أنه يبكي لقلة عمله للجنة العالية ولتفريطه في الأيام الخالية وللذي يُنجيه من النار الحامية، هذا الجبل يبكي على عمره الذي فات ويتحسر على الدرجات العالية التي لا يثق أنه سيُحصِّلها، كما أنه مرعوب من النار الحامية التي قد يتعرض لها فلا أحد منَّا يضمن قبول عمله

هؤلاء القوم كانوا عقلاء أذكياء أتقياء مَنَّ عليهم ربهم بنور البصيرة يرى أحدهم عمله ويُقدر لنفسه قدرها فلا يغتر بعمل ولا بحال،

هؤلاء يقولون هذه الكلمات وقد كانوا على هذه الصورة فماذا نحن قائلون وقد أصبحنا بهذه الصورة؟

4- الحسرة التالية: حسرة أصحاب المجالس التي تخلو من ذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ:

هذه حسرة من أشد الحسرات!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ " مسند أحمد(9965)

فما من قوم يجلسون في مجلس لا يذكرون فيه اسم الله أو يصلون على النبي r إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة حتى لو دخلوا الجنة بما عندهم من أعمال صالحة لماذا؟

- لأنهم ضيعوا فيها أوقاتهم،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَلَمْ يَذْكُرُوا اللهَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مَشَى طَرِيقًا فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً "، مسند أحمد(9583)، سنن الترمذي(3380)، السنن الكبرى للنسائي (10165)

- ترة : أي حسرة،

فالناس يجلسون في المجالس يذكرون كل شيء إلا الله عز وجل وتحلو هذه المجالس لمَن فيها رغم خلوها من ذكر الله سبحانه فالقلوب مغلقة بعيدة عن الغاية التي خُلِقوا من أجلها فكانت الدنيا أكبر هَمُهُم ومحور انشغالهم فيحلو لهم ذكر كل شيء يخص الدنيا أما ما يخص الدين أو الآخرة أو ربهم فهم بعيدين عنه كل البُعد فلا قال الله ولا قال رسوله r وبالتالي ستكون حسرة عليهم يوم القيامة.

وأعلى الناس مراتب هم الذين أُغلقت قلوبهم عن أي كلام إلا ما كان لله

ألم يعلم هؤلاء المنشغلين عن ذكر الله بغيره من الأمور أنه لن يأتي انشراح الصدر ولا تيسير الأمر ولا الخير كله إلا بذكر الله سبحانه وتعالى

وكذا البركة لن تَحِل إلا بذكر الله والصلاة على النبي r والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنُصح لوجه الله هنا فقط سوف تأتي السعادة وانشراح الصدر

لماذا تعود هذه المجالس على أصحابها بالحسرات يوم القيامة ؟

لفناء الأعمار وانقضاء الأوقات وسرقة الشيطان لأعظم ساعات العُمر فيما لا خير فيه

قَالَ ابن رجب: يُعْرَضُ عَلَى ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَاتُ عُمْرِهِ ، فَكُلُّ سَاعَةٍ لَمْ يُحْدِثْ فِيهَا خَيْرًا تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ.

هذا اجتهاد من ابن رجب لا دليل عليه ولكنه بالاستنباط، أي أنه استنبط أن هذه الأوقات الضائعة ستكون عليه حسرات يوم القيامة.

5- يقول علي بن الفضيل: (حسرة على أعمال صالحة شابتها شائبة رياء وعجب وسمعة).

وهنا ننتقل إلى حسرة أخرى وهي الحسرة على أعمال عملها المرء واجتهد وتعب وبذل الكثير من أجل القيام بها (قام بطاعات كثيرة من صلاة وصيام وحضور مجالس علم وإخراج صدقات وغير ذلك من الأعمال الصالحة ولكن هذا العمل اختلطت النية فيه بالرياء أو العجب فحبط العمل نتيجة إما الرياء أو العجب أو السمعة).

مثال : القيام بعمل من الأعمال الصالحة ولكن صاحبه ينتظر مدح الناس له وإعجابهم به والحديث عنه.

الشاهد : هو إرادة أمور أخرى إلى جانب إرادة الآخرة وهذا هو العمل المختلط، شخص يريد أن يكون طالب علم وهو مُحب لهذا العلم ويرغب في ثواب الله ويُصلي ويعتمر ويحب الأعمال الصالحة جدًا، هنا هو محب لهذه الأعمال ويحب أن يتقرب لله بتلك الأعمال إلا أنه هناك وعلى الطرف الآخر جزئية أخرى وهي طلب السمعة والاسم ومدح الناس والثناء عليه ومدحه على ما هو فيه من صلاح، والحسرات هنا تكون على ضياع الأجر على هذا العمل، فالعمل لم يكن خالصًا لوجه الله، والإشكالية أنه كلما كان هناك جهل كلما قلَّ التفات الإنسان أو انتباهه لهذه المسائل التي تتسبب في ضياع الأجر نتيجة حديثه عن أعماله الصالحة.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47)}[الزمر]

فقد يعمل الإنسان من أنواع الطاعات الكثير ويحسب أن له من رصيد الحسنات الكثير والكثير(نفقات_صدقات_صلاة_صيام_حج_بر للوالدين _صلة أرحام_ دروس علم) ثم يأتي يوم القيامة ليبحث عن هذه الأعمال فلا يجدها لأنها أصبحت هباءً منثورًا.

قال سبحانه: { وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (48)}[الزمر]

قال بعض أهل العلم في هذه الآية : ويلٌ لأهل الرياء، ويلٌ لأهل الرياء

عن عكرمة بن إبراهيم ، عن ابن المنكدر ، أنه جزع عند الموت ، فقيل له : لم تجزع؟ قال : أخشى آية من كتاب الله { وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

محمد بن المنكدر هو: إمام من الأئمة الكبار العظام مازالت الدنيا تستقي من علمه إلى الآن، عند موت هذا العالم الجليل اشتد جزعه وبكى فسألوه لماذا تبكي فقال : أن لديه رعب من آية في كتاب الله ثم ذكره وقال أنه يخشى أن تكون الأعمال التي قام بها في الدنيا لا مُقابل لها يوم القيامة من الأجر والثواب، وهذا هو حال السلف من الخوف على الأعمال.

۞ هذه الجزئية تحتاج إلى وقفة

فإذا أراد الواحد منَّا أن لا يتحسر يوم القيامة على عمل قام به في الدنيا وكان يعتقد أن له أجرًا في الآخرة فعليه أن يُراجع حسابه لنفسه,

1- قبل العمل لابد من تجديد النية:

- فإذا ما كان متجهًا لسماع درس من دروس العلم فعليه أن يسأل نفسه أولًا لماذا تفعل ذلك ؟

فإن كانت الإجابة هي: تعلم العلم وإزالة الجهل ونقل هذا العلم للآخرين ليستفيدوا منه، فإذا كانت النية واضحة جلية على هذه الصورة فعليه أن ينطلق

- ينوي الذهاب لأداء العمرة لماذا؟ هل لأنه يعلم أنه من العمرة للعمرة كفَّارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر، فإذا كانت هذه هي النية فليذهب.

انتبهوا : لأن الحديث عن العمل يمكن أن يأتي بثناء من السامع والقلوب ضعيفة وكذا الإيمان ولا ندري كيف يكون تأثير هذه الكلمات على قلب العبد، فكلمة مدح أو ثناء يمكن أن تدخل على القلب فتتسبب في فساد القلب وفساد العمل.

أعظم ما يملك العبد في الدنيا هو حسناته وواجبٌ عليه أن يُحافظ عليها، وكم من عمل يعمله المرء ويظن أنه خالص من الرياء إلا أنه يوم القيامة لا يجده كذلك.

6- الحسرة التالية: الحسرة على الأعمال المحدثة.

وهي الأعمال التي كانت على بدعة وليست على السنة.

قال عز وجل: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)}[الكهف]

أتدرون مَن هم أكثر الناس خسارة يوم القيامة ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا

فبأي شيء ضلوا؟ ضلوا باتباعهم للهوى والبدعة ولأنهم حادوا عن الصراط المستقيم، هؤلاء هم الأخسرين أعمالًا ولكنهم يعتقدون أنهم يُحسنون صنعًا

- فأصحاب البدعة يرفضون السماع للنُصح من غيرهم، الواحد من هؤلاء يرى نفسه أنه هو الصوَّام القوَّام الذي لا يترك صلاة، يؤدي العمرة بعد العمرة والعمل الصالح يتبعه غيره ولو أن أحد تحدث إليه ليُبين له أنه على بدعة فإنه ينهره ولا يقبل منه حديث، هؤلاء هم الأخسرين أعمالًا لأنهم ضلوا، فليست العِلة في الصيام والقيام والذكر والاستغفار ولكن العلة تكمن في إحاطة كل هذه الأعمال وصبغتها بالهدي النبوي أي باتباع السنة وإلا فمهما عمل من أعمال فلا قيمة لها يوم القيامة، فكل عبد عمل عملًا لم يُصِب فيه السنة ولم يتبع في النبي ﷺ فسيدخل تحت هذه الآية.

بالفعل هم قاموا بالأعمال قدموا وبذلوا واجتهدوا وتعبوا(صلوا_صاموا_ حجوا_اعتمروا_ تصدقوا_أنفقوا) وقد يكونوا قاموا بأعمال كبيرة إلا أنهم من الأخسرين أعمالًا لماذا؟ لأنهم لم يهتدوا بهدي النبي ﷺ وبالتالي فأعمالهم غير مقبولة

_قال سبحانه وتعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23)}[الفرقان]

هذه الأعمال ستكون هباءً منثورًا يوم القيامة، هباءً منثورًا نتيجة الرياء أو السمعة أو بالبدعة وترك السنة.

يقول ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: فهذه هي أعماله التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه يجعلها الله هباءً منثورا. ولا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلاً، وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة: أن يرى سعيه كله ضائعاً لم ينتفع منه بشيء وهو أحوج ما كان العامل إلى عمله، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم.

الأعمال المقصودة في هذه الآية هي الأعمال التي على غير هدي الرسول r والتي لم يُقصد من عملها وجه الله فتكون يوم القيامة هباءً منثورًا ولا ينتفع بها صاحبها،

يقول : يكون الإنسان في حسرات يوم القيامة لأنه قام بالفعل بأعمال كان يستحق عليها الأجر فقد اجتهد وتعب وقدم الكثير من الأعمال الصالحة وهنا تكون الحسرة أشد وأعظم فلم يكن من الغافلين ولا من العاصين الممتنعين عن العمل الصالح ولهذا قال الله عز وجل عنهم {الأخسرين أعمالًا}.

وبالتالي فإن هذا الشخص لم يبق مع أهل الدنيا فيعش حياته طولًا وعرضًا ولا هو عمل أعمالًا خالصة لوجه الله وعلى هدي رسول الله ﷺ فانتفع بها في الآخرة ولهذا قيل الأخسرين أعمالًا فقد عملوا ولكن أعمال فاسدة لا قيمة لها، فكانوا بذلك أشد الناس خسارة لحرمانهم أنفسهم من الدنيا ومتاعها الزائل وكذا قيامهم بأعمال أتعبوا أنفسهم فيها دون أن يكون لها أجر في الآخرة قال بعض الحكماء: كم من موقف خزي يوم القيامة لم يخطر على بالك قط .

فالإنسان المغرور بنفسه ظنًا منه أنه على خير، يظن أنه قائم بأعمال صالحة ثم يجد نفسه يوم القيامة وقد وضع في موقف فيه خزي لم يكن يخطُر على باله أن يوضع فيه في يومٍ كهذا.

7- الحسرة التالية: الحسرة على عدم اتباع النبي ﷺ (ترك السنة).

قال تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)}[الفرقان]

فيندم التارك للسنة حين يرى أهل السنة وهم يتنعمون بالدرجات العلى ويتقاسمون هذه الدرجات والمنازل فيما بينهم لأنهم كانوا يعملون أعمالًا فيتبعون الهدي النبوي في عملها، ويشربون من حوض النبي ﷺ ،

أما هو فيتحسر لأنه كان مبتدعًا في أعماله ولذلك لم تُقبل فيتحسر ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا، ليتني اتبعت السنة وتحرَّيت طريق النبي r وسِرت فيه، فيندم ويتحسر على عدم الاتباع بالرغم من أن هذا كان هو الحق المبين من عند الله سبحانه وتعالى.

علينا إذا أردنا النجاة أن نبحث عن السنة بكل ما أوتينا من قوة، فأي عمل فيه سنة فعلينا التمسُك به، وأي سنة تعلمناها علينا العمل بها، وأي نصيحة تُوجه إلينا من شخص لديه علم وعلى دراية بالسنة فيجب أن نسمع له ونترك العمل الذي نقوم به إن كان مخالفًا للسنة حتى لا ندخل في هذا النوع من الندم يوم القيامة.

قال الله عز وجل: { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66)}[الأحزاب]

تُقلب وجوههم في النار سواء كانوا من أهل الضلال والكفر أو من العصاة الذين تركوا المنهج وابتدعوا في دين الله يُسحبون على وجوههم في النار وتلفحهم نيرانها فيتمنوا لو أنهم يعودون مرة أخرى إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدوه من أعمال ويعملون أعمالًا صالحة على هدي النبي ﷺ لأنهم رأوا أن أعمالهم لم تُقبل لعدم اتباعهم سنة النبي r في هذه الأعمال.

8- الحسرة التالية: حسرة عند الذود عن حوض رسول الله ﷺ.

فحسرة الذود عن الحوض حسرة شديدة جدًا.

(الذود: مصدر ذاد، ذَوَّدَ الرَّجُلُ عَنْ حَسَبِهِ : حَمَاهُ وَدَافَعَ عَنْهُ).

فمن المعلوم أن المؤمنين المتبعين للسنة سيشربون من حوض النبي r ولكن هناك من المسلمين مَن يأتي ليشرب من حوض النبي r فيُبعد عن هذا الحوض ويُمنع من الشرب منه

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» أخرجه البخاري(6583)

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: " فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا: بُعْدًا يُقَالُ: {سَحِيقٌ} [الحج: 31]: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ أَبْعَدَهُ" أخرجه البخاري(6584).

مَن منَّا يتحمل دعوة كهذه من النبي ﷺ ، فبعد أن كان الواحد يعيش في الدنيا وهو يُمني نفسه برؤية النبي ﷺ يوم القيامة ليشفع له، والحقيقة أنه كان يعيش على بدعة (حي يا رسول الله _يتمسح في القبر _مدد) كلها أعمال بدعية، والمسكين مُعتقد أن ما يفعله هو غاية الحب للنبي r وتلك هي أعظم الأعمال التي تعبر عن محبة الرسول r، ثم يأتي يوم القيامة ليشرب من حوض النبي r فتبعده الملائكة وليس هذا فقط بل أن النبي r يقول له سحقًا سحقًا لمن غير بعدي، فأي حسرة تلك التي يتجرعها إنسان يجتمع عليه إبعاد الملائكة له حوض النبيr ودعاء النبيr عليه، أي حسرة تُعادل هذه الحسرة، لقد كانت أعماله أعمال بدعية(تسبيح مبتدع_يجلس فيما يُسمى بالحضرة _ يتمسَّح في القبور_يذهب عند قبر النبي فيدعوه ويطلب منه المدد ويتكلم بكلمات خاطئة فيقول: بحق جاه النبي ﷺ).

وفجأة يجد هذا المسكين نفسه من المُبعدين عن حوض النبي r ومن الذين دعا عليهم لأنه استبدل بسنته أعمال بدعية تسببت له في هذه الحسرة، حسرة شديدة فمَن يحتملها؟ فالكل قلبه معلق برؤية النبي صلى الله عليه و سلم و الشُرب من حوضه و النظر إليه والاجتماع معه في الجنة إن شاء الله فإذا به يتحسر لفوات لك كله بسبب إقامته في الدنيا على البدعة و ترك السنة فيتحسر حسرات عظيمة

و لنعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحد فلقد جاء الحق لهذا الشخص مرات ومرات فاعرض عنه ولم يقبله فلا يقل احد ماذنب هذ المسكين فقد كان يظن ان هذا هو الحق ؟؟؟ ابدا والله ما يظلم ربنا احد فلا يظن احد بالله ظن السوء حاشاه حاشاه ان يظلم مخلوق فهذا الظن مصيبة كبرى فهذا المبتدع في دين الله ستكون مفاجآته رهيبة و حسرته ما بعدها حسرة ، حسرة الذود عن الحوض

و لننتبه أن المُبعدين عن الحوض أصناف فمنهم مَن ارتد بعد موت النبي r ومنهم المنافقين ومنهم العُصاة المبتدعين في دين الله فجاءوا بعلامة الوضوء التي عرفهم النبي r بها ولكنهم ابتدعوا بدعًا لم تُخرجهم من الملة لكنهم (ليسوا كفارًا) و أيضاً ليسوا من أهل الجنة لكنهم غُراً محجلين مسلمين كانوا يتوضؤوا و يصلوا لكنهم مبتدعين فلنحذر

9- الحسرة التالية: حسرة على أعمال صالحة ذهب ثوابها للمظلوم.

فقد يعمل العبد أعمالًا كثيرة جدًا ولكن ضاع ثوابها فلماذا ضاع هذا الثواب؟ لم يكن ضياع ثوابها بسبب الرياء أو السمعة أو المُباهاة (لا) لقد كانت خالصة لوجه الله فصلاة وصيام وحج وعمرة وقيام ونفقات وكل هذا كان على السنة وكله أيضًا مقبولٌ عند الله إن شاء الله ولكن هناك حسرة عند البعض من هؤلاء الذين قبلت أعمالهم فما هي؟

مَن تذهب حسناتهم إلى غيرهم

قال عز وجل: { وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)}[طه]

حسرة ذهاب الثواب إلى مَن ظلمه العامل لتلك الأعمال وهي حسرة قلَّ أن ينجو منها أحد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» أخرجه مسلم(2582)

وحتى بين البهائم يوجد قصاص، وكذا فيما بينها وبين الآدميين ومنه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [ص:177] بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» أخرجه البخاري(3482)، أخرجه مسلم(2242).

والقصاص بين الحيوان يحدث ثم يكون ترابًا وهذا من كمال عدل الله وعلمه فإذا كان هذا هو حال الحيوان في القصاص فكيف سيكون حال الإنسان؟ والجميع يعلم حديث المفلس ولكن قلَّما يلتفت إليه أحد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ [ص:139] خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ: «فَيَقُصُّ» ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ» مسند أحمد (8414)، سنن الترمذي(2418) [حكم الألباني] : صحيح

فعندما سأل النبي ﷺ عن المفلس اعتقد الصحابة أن المفلس مَن لا درهم له ولا متاع، فأجاب النبي ﷺ بأن هذا ليس هو المقصود بالمفلس لأن الفقير في الدنيا ليس مفلسًا فالدنيا مدة قصيرة وستمر، فمهما بلغت درجة الفقر والضنك وضيق العيش فكل شيء سيكون مرحلة وتمُر والقبور يجتمع فيها الغني والفقير والأمير والمسكين،

أما المفلس الذي قصده النبي ﷺ بكلماته فهو مَن اجتهد في الدنيا ليجمع الحسنات (فصلى_وصام_ وقام _وتصدق_وحج _واعتمر) كلها أعمال كانت خالصة لله عز وجل فلم تشُبها شائبة رياء أو سمعة ولكنه لم يلتفت للسانه الذي كان يُطلقه ليل نهار (غيبة_نميمة_انتقاص من قدر فلان _همز ولمز_أخذ حقوق العباد) فجعلته يأتي يوم القيامة وقد خسر حسناته، فأين الأعمال التي كان قد عملها من الصلاة والصيام والقيام والصدقات؟

لقد جعله الشيطان ينظر إلى أعماله الصالحة وصرف نظره وقلبه عن النظر إلى السيئات وتلك مشكلة كبيرة جدًا يُعاني منه الملتزمين أنفسهم _فالشيطان نجح في جعله يُركز دائمًا مع حسناته (أنا أصوم_أصلي _أقوم الليل_ اعتمرت عدة مرات_ أنفقت _التزمت بالزي الشرعي).

دائمًا يكون في حالة من النظر إلى أعماله

علينا أن نترك النظر إلى الأعمال لأن مَن سيقبلها هو الله ومَن سيُجازي عليها هو الله وبالتالي فلن يضيع منها شيء، ليتنا ننظر للسيئات لأن دوام النظر للحسنات مدخل شيطان كي يجعل العبد لا يرى ذنوبه.

ولهذا فإن هذا النوع الذي دائمًا ينظر إلى حسناته إذا جلس في مجلس وذُكرت فيه مثل هذه الحسرات يكون في حالة من الضيق والضجر لماذا؟ هم يرون أنفسهم أنهم على خير فهم يعملون أعمال كثيرة يعتقدون أنها مقبولة ولا يرون ما في الكفة الثانية من مضيعات لهذه الحسنات، هل يستطيع أحد من هؤلاء أن يحكم على ميزان سيئاته وما فيه من ذنوب تمحو ما في الكفة الثانية من حسنات، لا يملك شخص منَّا ميزان لما ينطق به من كلمات فيرى كم تساوي هذه الكلمة في مقابل صلاته أو صيامه أو قيامه وكم سيأخذ مَن اغتابه أو ذكره بسوء من رصيد حسناته، هذه الحسرة من أشد أنواع الحسرات وهي أن يعمل الإنسان أعمالًا خالصة ليس فيها رياء ولا سمعة وعلى الهدي النبوي فليس فيها ابتداع (حسنات يصعب على العبد الحصول عليها) لأن النفس والشيطان والدنيا لا يتركونه وهو يعمل من أجل الحصول عليها فالأعمال الخالصة صعبة وليست سهلة.

فهل بعد هذه الصعوبة التي واجهها الإنسان لينال هذه الحسنات الخالصة يمكن أن يذهب ليهدي ثوابها إلى غيره هكذا بكل سهولة؟ ولماذا؟ أَمِنْ أجل عدم القدرة على حبس اللسان أثناء جلسة مع الناس؟ _أَمِنْ أجل عدم القدرة على كظم الغيظ عندما يستفزه غيره فيُطلق لسانه ويتكلم عنه بما فيه وما ليس فيه؟
أيها الغافل عن لسانك لقد أضعت صيامك وقيامك ونفقاتك ويوم القيامة سوف يأخذ منك ظالمك في الدنيا أغلى حسناتك بحديثك عنه فلماذا؟ هذا مدخل شيطان رهيب

لقد اعتدنا أن تكون مجالسنا كلام وكثرة كلام واعتدنا عدم الصمت وعدم حفظ اللسان، وكلما كثر الكلام كلما وقع المرء في الخطأ وكلما انعدم لديه كظم الغيظ كلما وقع في أكل لحوم المسلمين فاحذروا من حسرة ذهاب الحسنات والثواب للغير بالظلم لهم في الدنيا.

10- الحسرة التالية: الحسرة على رفقة السوء.

وهذا الأمر مهم لأن الكثير يقعون فيه سواء الكبير أو الصغير

قال تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29)} [الفرقان]

فيوم القيامة يكون المرء في حسرة ويقول ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا فيندم

- الخليل : الخِلة أعلى من المحبة

والصاحب قد يهبط بصاحبه ويكون سببًا في سيره في طريق الضلال وبالتالي فعندما يعمل الخطأ لا يلفت انتباهه لما يفعله ويراه وهو يغرق ولكنه يظل ممسكًا بيده وهما في سبيلهما للغرق.

يوم القيامة يندم هذا الشخص ندم شديد على صداقته لهذا الذي اتخذه خليلًا، فقد كان سببًا في إضلاله واستمراره على هذا الضلال

{ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} لقد أضله عن الذكر وعن طريق الحق والخير فشده وسحبه ليوقعه في مستنقع الذنوب، ويوم القيامة يندم ويتحسر لأنه علم أن هذا الخليل كان سببًا في ضياعه ووقوعه في المعاصي.

- { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } دائمًا ما يخذل الشيطان بني آدم لماذا؟ لأنه عدوٌ مضلٌ مبين، فينظر إلى الإنسان ويبحث عن ما يكون سبب في خذلانه ويحاول القيام به، وقد يكون ذلك بتسليط شيطان آخر على هذا الإنسان ولكن هذا الشيطان الآخر يكون أيضًا من بني آدم (شخص عاصي) فيُحاول إبعاده عن طريق الحق والخير،

_فصحبة السوء من خطوات الشيطان لأنها لا تُذكر بالله ولا تُنبه عند الغفلة ولا تُحذر من المعاصي ولا تأخذ بيد العبد إلى ربه ولذا فإن الشيطان يخذل الإنسان عن طريق هذا الخليل أو الصاحب.

- قال سبحانه: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)} [الزخرف]

الكل يعادي الكل يوم القيامة لانقطاع العلائق بينهم فلا صداقة ولا علاقات ولا قرابات، فلا أنساب ولا أصحاب، ففي هذا الوقت الكل يكون في عداء إلا المتقين وهذا استثناء فقد كانت المحبة والخلة والصداقة بينهم مبنية على التقوى، فعليكم بمصاحبة المتقين ومهما كان لدى هذا المتقي من عيوب(علينا أن نغض الطرف عن تلك العيوب) فعلى العاقل المحب لدينه أن يتمسك به ما لم يؤذه في دينه لماذا؟ لأنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يُعين صاحبه على أمر دينه ويوم القيامة لن يندم على ملازمته له.

_ عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ» فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ} [التوبة: 113]. وَنَزَلَتْ: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: 56]أخرجه البخاري(3884)

هؤلاء هم الأخلاء الذين يتحولون إلى أعداء يوم القيامة، لقد ظل أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية يحُثَّانه على البقاء على دين الآباء وعدم تركه وأن لا يؤمن بما جاء به ابن أخيه

تلك حسرة ما بعدها حسرة، فالصحبة السيئة والرفيق السيئ يمكن أن يكون سبب في خلود صاحبه في النار، وقد كانت كلمة واحدة لو قالها أبو طالب لأدخلته الجنة ولما أصبح من الخالدين في النار.

وقال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار، خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجار.

فنقل الحجارة مع الأبرار وحملها أفضل من أكل الخبيص (نوع من الحلوى عندهم) لأن المآل بعد مرافقة الأبرار أفضل من المآل الذي سيصل إليه الإنسان بعد مرافقة الفجار

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك